

أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها

السيدة الكريمة:

* السُّرُّ الرَّفِيعُ حَفْصَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ
ابن الخطاب ضيفةً هذه الصَّفحات.

* كانت قريش تجددُ بناءَ الكعبة قبلَ مبعثِ النَّبيِّ الكريمِ
ﷺ بخمس سنين، وكانت هذه فاتحة خيرٍ لقريش إذ توحدتْ
كلمتهاً بفضلِ رأيِ سيِّدنا رسولِ الله ﷺ؛ حينما حسم
الخلافاً بين المتنازعين على وضعِ الحجرِ الأسود مكانه.

* في تلك الأيام السَّعيدة، وُلدتْ أمُّ المؤمنين حفصة
بمكة، وقد جُمعَ لها الفضلُ من جميعِ نواحيه، وصاحبَتها
البركة منذ البداية.

* فأبوها غنيٌّ عن التعريف، يكفيهِ من الفضلِ الكبيرِ أنَّه
الوزيرُ الثاني للنبيِّ ﷺ، وأنَّه سراجُ أهلِ الجنة، ويكفيه من
الطيبِ الفياض ما قالتْ عائشةُ ابنة الصِّديق فيه: إذا شئتُم أنْ

* وأُمُّها زَيْنُبُ بِنْتُ مِظْعُونِ بْنِ حَبِيبٍ، أختُ الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ سَيِّدِنَا عِثْمَانَ بْنِ مِظْعُونٍ، أحدُ سادةِ المِهاجِرِينَ، ومَنْ أَوْلِياءِ اللَّهِ المَتَّقِينَ، الَّذِينَ فَازُوا بِوَفاتِهِمْ فِي حَيَاةِ نَبِيِّهِمْ فَصَلَّى عَلَيْهِمْ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُفِنَ بِالْبَقِيعِ.

* وَأَخُوها عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو، شَهِدَ لَهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّقِي وَالصَّالِحِ فَقَالَ: «نِعَمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِن اللَّيْلِ». فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا القَلِيلَ، وَهَذِهِ الشَّهادَةُ رَفَعَتْهُ إِلَى مَصَافِّ الأَتْقياءِ.

* وَعَمُّها زَيْدُ بْنُ الخِطابِ، السَّيِّدُ الشَّهِيدُ المِجَاهِدُ التَّقِيُّ قالَ عَنْهُ سَيِّدُنَا عَمْرٌ: أَسْلَمَ قَبْلِي وَاسْتَشْهَدَ قَبْلِي. وَقَالَ أَيْضاً: ما هَبَّتِ الصِّبَا إِلَّا وَأَنَا أَجْدُ رِيحِ زَيْدٍ.

* وَعَمَّتُها فَاطِمَةُ بِنْتُ الخِطابِ إِحدَى السَّابِقاتِ إِلَى سِاحةِ الإِيمانِ، مَعَ زَواجِها سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ أَحَدِ العِشْرَةِ المَبشِرِينَ بِالجَنَّةِ.

* * *

النَّشأةُ الطَّيِّبَةُ:

* فِي هَذِهِ المِجموعَةِ الفَرِيدَةِ نَشأتُ حَفصَةَ - رَضِيَ اللَّهُ

عنها وأرضها - ولما أشرقت مكة بنور الإسلام، انضم والدها إلى ركب السابقين الأولين، وفاز بنور الإيمان وتباشرت الملائكة بإسلامه الذي كان بركة على الإسلام والمسلمين منذ اللحظات الأولى التي نطق فيها بالشهادتين.

* نشأت حفصة - رضي الله عنها - على حب المعرفة، ونهلت من عيون الأدب والعلم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، حتى غدت إحدى فصيحات النساء في قريش، وتعلمت الكتابة من الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية.

ولما بلغت أشدها واكتملت أنوثتها تزوجها خنيس بن حذافة بن قيس القرشي السهمي - أخو سيدنا عبد الله بن حذافة - ، وكان خنيس - بالتصغير - رضي الله عنه أحد السابقين الأولين إلى ساحة الإيمان، إذ أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم^(١)، وذلك على يدي سيدنا أبي بكر الصديق - رضوان الله عليه - .

* * *

المُهَاجِرَةُ الصَّابِرَةُ:

* لما اشتد أذى قريش للمؤمنين، كان خنيس ممن توجه للقاء الحبشة فهاجر إليها مع من هاجر، ثم عاد إلى مكة

(١) انظر طبقات ابن سعد (٣/٣٩٢).

عبد المنذر، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيس بن جبر، فخُنيِس رضي الله عنه من أصحابِ الهجرتين.

* وحينما كانت غزوة بدر^(١) العظمى شهدها خنيس، ولم يشهد من بني سَهْمٍ بدرًا غيره، فكان من أبطالها المجاهدين الذين قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى وأصيب بالجراح في مواضع من جسده، لكنه ظلَّ يجالِدُ إلى أن انتهت المعركة بنصر المسلمين، ولما عاد المسلمون إلى المدينة المنورة مات خنيس - رضي الله عنه - متأثرًا بجراحه، وصلى عليه رسول الله ﷺ ودفنه بالبقيع إلى جانب قبر عثمان بن مظعون - رضي الله عنه وأرضاه - .

* وترملت حفصة بنت عمر وهي ما تزال في ريعان شبابها، وحزنت لوفاة زوجها حزناً شديداً ظهرت آثاره على قسَمات وجهها، لكنها تذرعت بالصبر والإيمان، وكان أبوها يزورها ويخفف من آلامها وأحزانها، ويرعاها بحنانه ويحوطها بعطفه، وكأنه بإحساسه وفراسته وعبقريته يرى أن لابنته هذه شأنًا، وكان ذلك، والله درٌّ من قال فيه:

(١) من الأخبار السارة المباركة التي تضاف إلى مكارم أم المؤمنين حفصة - رضي الله عنها - ، أن سبعة من أهلها شهدوا بدرًا، وأبلوا بلاءً حسنًا وهم: أبوها عمر، وعمها زيد، وزوجها خنيس، وأخوالها عثمان وعبد الله وقدامة، والسائب بن عثمان ابن خالها.

متيقظُ العَزَمَاتِ مُذْ نَهَضَتْ بِهِ
عَزَمَاتُهُ نَحْوَ الْعُلَى لَمْ يَقْعُدِ
وَيَكَادُ مِنْ نَوْرِ الْبَصِيرَةِ أَنْ يَرَى
فِي يَوْمِهِ فَعَلَ الْعَوَاقِبِ فِي غَدِ

* * *

مَعَ أَهْلِ الْخَيْرِ:

* كانت حفصة - رضي الله عنها - مِنْ فاضلاتِ النساءِ
العابדותِ الورعاتِ، الصَّابراتِ القانتاتِ اللاتي ضربنَ أعلى
الأمثلةِ في مجالِ العبادةِ، وكان أبوها يُسرُّ لهذه الصِّفاتِ
الخيريةِ التي تتحلَّى بها، غيرَ أنَّه كان يؤلمه حال ابنته القانتةِ
التي ترملت وهي في ميعة الصِّبا.

* ونظرَ مِنْ حوله نظرةً فاحصةً، فإذا به يرى الظُّروفِ
مواتيةً لسعادةِ حفصة، فها هو أحدُ أهلِ الخيرِ، وأحدِ الأعلامِ
السَّابقينِ إلى الإسلامِ - عثمان - أضحى وحيداً بعد وفاةِ زوجه
رُقِيَةَ بنتِ النبي ﷺ، فانطلقَ عمر - رضي الله عنه - إلى
عثمانِ مواسياً ومخففاً مِنْ مُصابه، وعرضَ عليه ابنته حفصة
قائلاً: إنْ شئتَ أنكحتُك حفصةً، فقال عثمانُ - رضي الله
عنه - : سأنظرُ في أمري.

* مكثَ عمر بضعةِ أيامٍ ثم لقي عثمانَ، فأخبره أنَّه لن

الله عنه - فقال له: إن شئت زوجتك حفصة، ولكن الصديق
لزم الصمت ولم ينطق بكلمة واحدة، وترك عمر ومضى في
طريقه، فتأثر الفاروق من هذين الموقفين، وشعر بانكسار
نفسه، فذهب إلى رسول الله ﷺ يشكو حاله، وأدرك رسول
الله ﷺ ما يعاينه عمر، فأجابه بجوابٍ شافٍ كان برداً وسلاماً
عليه فقال له: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان،
ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة».

* ترى من خير من عثمان ومن خير من حفصة؟

سؤالان يعتملان في ذهن عمر، بيد أن تساؤله لم يطل،
فخطب رسول الله ﷺ حفصة، وأصبحت إحدى أمهات
المؤمنين، وزوج رسول الله ابنته أم كلثوم من عثمان - رضي
الله عنه -^(١). وسعد عمر - رضي الله عنه - بهذا النسب
الذي رفعه مكاناً علياً. قال سعيد بن المسيب - رحمه الله -
عن هذا الزواج: فخار الله لهما جميعاً، كان رسول الله ﷺ
لحفصة خيراً من عثمان، وكانت بنت رسول الله ﷺ لعثمان
خيراً من حفصة^(٢).

(١) عن طبقات ابن سعد (٨٢/٨)، والاستيعاب (٢٦٠/٤)، وسير

أعلام النبلاء (٢٢٨/٢) بتصرف.

(٢) انظر طبقات ابن سعد (٨٣/٨).

* وعندما زَوَّجَ سَيِّدَنَا عَمْرَ حَفْصَةَ - رضوان الله عليهما - ،
لقيه سيدنا أبو بكر الصِّدِّيق - رضي الله عنه - فاعتذر اعتذاراً
لطيفاً وقال له :

« . . . لعلك وجدت عليّ - غضبتَ - حين عرضتَ
عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ .
قال عمر: نعم .

قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ
عليّ، إلا أنني كنتُ علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم
أكن لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله ﷺ
قبلتها» (١) .

* وتزوج رسولُ الله ﷺ حفصة سنة ثلاث من الهجرة قبل
غزوة أحد، وأصدقها أربعمئة درهم، وكان ذلك أعظم إكرام
ومنة وإحسانٍ لحفصة وأبيها - رضي الله عنها - .

* وأودُّ أن أشيرَ إلى أن تصرفَ سيدنا عمر في عَرْضِ ابنته
على الأكفَاءِ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ، كان مفتاح خَيْرٍ في هذا
المضمار، وباب بركة وسنة طيبة أيضاً، فمن بركات هذا
الزَّوْجِ أَنَّ الْإِمَامَ الْبُخَارِيَّ - رحمه الله - قد عقد في صحيحه
فضلاً عنوانه: بَابُ عَرْضِ الْإِنْسَانِ ابْنَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ عَلَى أَهْلِ

(١) الحديث في صحيح البخاري (١٨/٧) .

* * *

حَفْصَةُ وَأُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنهن - :

* كانت حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها - تحظى بمكانة رائعة بين زوجات النبي الطاهرات، قالت عنها أم المؤمنين عائشة: هي التي كانت تُساميني من أزواج النبي ﷺ (٢).

* كما حظيت أمنا حفصة بمكانة لا تقيده عند رسول الله ﷺ، فهي إحدى زوجاته الخمس من قريش وهن: عائشة، حفصة، أم حبيبة، أم سلمة، وسودة بنت زمعة (٣) - رضي الله عنهن جميعاً -.

* ثم إن أم المؤمنين حفصة من خيار النساء الصالحات اللاتي يؤدين العبادات على أحسن وجه، وقد عرفت رضوان الله عليها بكثرة الصيام والقيام، وهاتان الصفتان من أنصح وأعلى منازل العبادة، وقد حضَّ النبي الكريم ﷺ من أراد أن

(١) انظر صحيح البخاري (١٧/٧) كتاب النكاح.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٧).

(٣) انظر تاريخ الإسلام للذهبي (١/٥٩٣).